

# البيضاء

وقصيدة: يا صاحب القبة البيضاء في الجف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## الشاعر ابن الحجاج

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج النيلي البغدادي، أحد العمدة والأعيان من علماء الطائفة، وعبقري من عباقرة حملة العلم والأدب، وقد عده صاحب [رياض العلماء] من كبراء العلماء كما عده ابن خلكان وأبو الفدا من كبار الشيعة، والحموي في [معجم أدبائه] من كبار شعراء الشيعة، وآخر من فحول الكتاب، فالشعر كان أحد فنونه، كما أن الكتابة إحدى محاسنه الجملة، وله في العلم قنن راسية، وقدم راسخة، غير أن انتشار أدبه الفائق، ومقاماته البديعة فيه، وتعريف الأدباء إياه بأدبه الباهر، وقريضه الخسرواني، والثناء عليه بأنه ثاني معلميه كما في (نسمة السحر) أخفى صيت علمه الغزير، وغطى ذكره العلمي، ونحن نقوم بواجب الحقين جميعا.

ينم عن مقامه الرفيع في العلوم الدينية وتضلعه فيها وشهرته في عصره بها توليه الحسبة<sup>(١)</sup> مرة بعد أخرى في عاصمة العالم في ذلك اليوم [بغداد] وهي من المناصب الرفيعة العلمية التي كانت تخص توليها في العصور المتقدمة بأئمة الدين، وزعماء الاسلام، وكبراء الأمة، وهي كما

١- الحسبة: هي الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكرين الناس كافة.

قال الماوردي في [الأحكام السلطانية] فمن شروط والي الحسبة، أن يكون حرا، عدلا، ذا رأي وصرامة، وخشونة في الدين، وعلم بالمنكرات الظاهرة.

قال رشيد الدين الوطواط: إن أولى الأمور بأن تصرف أئنة العناية إلى ترتيب نظامه، وتقصير الهمم على مهمة إتمامه، أمر يتعلق به ثبات الدين، ويتوقف عليه صلاح المسلمين، وهو أمر الاحتساب، فإن فيه تثبيت الزايفين عن الحق، وتأديب المنهكين في الفسق، وتقوية أعضاء أرباب الشرع وسواعدها، وإجراء معاملات الدين على قوانينها وقواعدها، وينبغي أن يكون متقلدا لهذا الأمر موصوفا بالديانة، معروفا بالصيانة، معرضا عن مراصد الرب، بعيدا عن مواقف التهم والعيب، لابساً مدارع السداد، سالكا منهاج الرشاد [معجم

قال الماوردي في (الأحكام السلطانية): من قواعد الأمور الدينية، وقد كان أئمة الصدر الأول يباشرونها.

ففي تولية ابن الحجاج الحسبة مرة بعد أخرى غنى وكفاية عن سرد جمل الثناء على علمه وفقهه وإطراء عدله ورأيه، واجتهاده في جنب الله وصرامته، وخشونته في الدين، ورشاده وسداده، وقد تولاها مرتين في بغداد مرة على عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله كما سمعته من ابن خلكان واليا فعي، وأخرى أقامه عليها عز الدولة في وزارة ابن بقية.

رتب ديوانه البديع الأسطرلابي هبة الله بن حسن على واحد وأربعين ومائة باب، وجعل كل باب في فن من فنون الشعر وسماه: درة التاج في شعر ابن الحجاج وهي محفوظة في باريس رقم ٥٩١٣ وبها مقدمة لابن الخشاب النحوي.

وللشريف الرضي انتخاب ما استجوده من شعره سماه الحسن من شعر الحسين ورتبه على الحروف، وكان ذلك في حياة ابن الحجاج<sup>(١)</sup> وله في ذلك شعر وهو قوله:

أتعرف شعري إلى من ضوي	فأضحى على ملكه يحتوي؟!
إلى البدر حسنا إلى سيدي	الشريف أبي الحسن الموسوي
إلى من أعوذ كلاً	تلقيته بالعزیز القوي
فتى كنت مسخاً بشعري السخيف	وقد ردني خلقاً سوي
تأملته وهو طورا يصح	وطورا بصحته يلتوي
فميز معوجه والرددي	فيه من الجيد المستوي
وصحح أوزانه بالعروض	وقرر فيه حروف الروي



وأرشدَه لطريق السداد  
وبين موقع كف الصنّاع  
فأقسم بالله والشيخ في  
لو أن زرادشت أصغى له  
وصادف زرع كلامي البليغ  
فما زال يسقيه ماء الطرا  
فلا زال يجيى وقلب الحسود  
له كبد فوق حمر الغضا  
توفي ابن الحجاج في ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٣٩١ بالنيل وهو بلدة على  
الفرات بين بغداد والكوفة، وحمل إلى مشهد الإمام الطاهر [الكاظمية]  
ودفن فيه وكان أوصى أن يدفن هناك بحذاء رجلي الإمام (عليه السلام)  
ويكتب على قبره: وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد.

ورثاه الشريف الرضي بقصيدة منها:

نعوه على حسن ظني به  
رضيع ولاء له شعبة  
وما كنت أحسب ان الزمان  
بكيك للشرد السابقات  
لبيك الزمان طويلا عليك  
فله ماذا نعى الناعيان  
من القلب مثل رضيع اللبان  
يفل مضارب ذاك اللسان  
تعلق ألفاظها بالمعاني  
فقد كنت خفة روح الزمان

## من دفاعه عن أهل البيت

وله من قصيدة أجاب بها عن الملعون ابن سكرة<sup>(١)</sup> المتحامل بها على آل الله وشاعرهم ابن الحجاج منها:

فما وجدت شفاء تستفيد به  
كافاك ربك إذ أجرتك قدرته  
فقر وكفر هميع أنت بينهما  
فكان قولك في الزهراء فاطمة  
عيرتها بالرحا والزاد تطحنه  
وقلت: إن رسول الله زوجها  
كذبت يا بن التي باب استها سلس  
ست النساء غدا في الحشر يخدمها  
فقلت: إن أمير المؤمنين بغى  
وإن قتل الحسين السبط قام به  
فلا ابن مرجانة فيه بمحتقب  
وإن أجر ابن سعد في استباحة  
هذا وعدت إلى عشان تندبه  
فصرت بالطعن من هذا الطريق إلى  
وقلت: أفضل من يوم (الغدِير) إذا

إلا ابتغاءك تهجو آل ياسين  
بسب أهل العلا الغر الميامين  
حتى الممات بلا دنيا ولا دين  
قول امرئ لهج بالنصب مفتون  
لا زال زادك حبا غير مطحون  
مسكينة بنت مسكين لمسكين  
الاغلاق بالليل مفكوك الزرافين  
أهل الجنان بحور الخرد العين  
على معاوية في يوم صفين  
في الله عزم إمام غير موهون  
إثم المسيء ولا شمر بملعون  
آل النبوة أجر غير ممنون  
بكل شعر ضعيف اللفظ ملحون  
ما ليس يخفى على البله المجانين  
صحت روايته يوم الشعانين

١- ابن سكرة هو محمد بن عبدالله بن محمد، ابو الحسن، الهاشمي، عرف بابن سكرة وعرف بابن رائطة او رابطة، كان من وجهاء عصره، وعلى صلة بالخلفاء والوزراء والقادة واعيان زمانه. وصفه أبو منصور الثعالبي في «البيئمة» بأنه «شاعر متسع الباع في أنواع الابداع، فائق في قول الملح والظرف، أحد الفحول الأفراد، جار في ميدان المجون والسخف ما أراد». وهو عشق الغلمان ووصفهم وتدل الروايات على ان ابن سكرة عرض بآل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم)، فهجاه ابن الحجاج بقصائد كثيرة.



ويوم عيدك عاشوراء تعدله  
تأتي بيوتكم فيه العجوز وهل  
عاندت ربك مغترا بنقمته  
فقال: كن أنت قردا في استه ذنب  
وقال: كن لي فتى تعلق مراتبه  
والله قد مسخ الأدوار قبلك في  
بدون ذنبك فالحق عندهم بهم  
ما يستعد النصارى للقرايين  
ذكر العجوز سوى وحي الشياطين؟!  
وبأس ربك بأس غير مأمون  
وأمر ربك بين الكاف والنون  
عند الملوك وفي دور السلاطين  
زمان موسى وفي أيام هارون  
ودع لحاقتك بي إن كنت تنويني

### دفاع أهل البيت عنه

جاء في كتاب الدر النضيد في تغازي الإمام الشهيد لزين الدين علي بن عبد الحميد النيلي النجفي: إنه كان في زمان ابن الحجاج رجلا صالحا يزديان بشعره كثيرا وهما: محمد بن قارون السبيي، وعلي بن زررور السورائي، فرأى الأول منهما ليلة في الواقعة كأنه أتى إلى روضة الحسين عليه السلام وكانت فاطمة الزهراء سلام الله عليها حاضرة هناك مستندة ظهرها إلى ركن الباب الذي هو على يسار الداخل وسائر الأئمة إلى مولانا الصادق عليه السلام أيضا جلوس في مقابلها في الزاوية بين ضريحي الحسين عليه السلام وولده علي الأكبر الشهيد متحدثين بما لا يفهم ومحمد بن قارون المقدم قائم بين أيديهم قال السورائي: وكنت أنا أيضا غير بعيد عنهم فرأيت ابن الحجاج مارا في الحضرة المقدسة فقلت لمحمد بن قارون: ألا تنظر إلى الرجل كيف يمر في الحضرة؟ فقال: أنا لا أحبه حتى أنظر إليه: قال: فسمعت الزهراء بذلك، فقالت له مثل المغضبة: أما تحب (أبا عبد الله)؟ أحبوه فإنه من لا يحبه ليس من شيعتنا.

ثم خرج الكلام من بين الأئمة عليهم السلام، بأن من لا يحب أبا عبد الله فليس بمؤمن. قال الشيخ محمد بن قارون: ولم أدر من قاله منهم، ثم انتبهت فزعا مرعوبا مما فرطت في حق أبي عبد الله من قبل ذلك قال: ثم نسيت المنام ولم أذكره إلى أن أتيت لي بزيارة السبط الشهيد سلام الله عليه فإذا بجماعة في الطريق من أصحابنا يروون شعر ابن الحجاج فلحقتهم فإذا فيهم علي بن الزرور وسلمت عليه، وقلت: كنت تنكر رواية شعر ابن الحجاج وتكرهها، فما بالك الآن تسمعه وتصغي إلى أنشاده؟ فقال: أحدثك بما رأيت فيما يراه النائم فقص علي بمثل ما رأيت في الطيف حرفيا وحكيته بما رأيت، ثم اتفقا على مدح الرجل وإيراد أشعاره و بث مآثره ونشر مناقبه<sup>(١)</sup>.

وللأسف الشديد أن بعض الكتاب الشيعة عندما نقل هذه القصة أضاف على لسان الصديقة الطاهرة الزهراء (سلام الله عليها) لفظ (السفيه) بحق ابن الحجاج! ولا أعلم كيف سمحت له نفسه بتحريف كلامها سلام الله عليها أولاً ووصف الشاعر العالم المدافع عن الله ورسوله وأهل بيته بهذا اللفظ.





## قصة القصيدة

إن السلطان مسعود بن بابويه لما بنى سور المشهد الشريف ودخل الحضرة الشريفة وقبل أعتابها وأحسن الأدب فوقف أبو عبد الله ابن الحجاج بين يديه وأنشد قصيدته الفائية (يا صاحب القبة البيضاء) فلما وصل منها إلى الهجاء أغلظ له الشريف المرتضى ونهاه أن ينشد ذلك في باب حضرة الإمام (عليه السلام) فقطع عليه فانقطع.

فلما جن عليه الليل رأى ابن الحجاج الإمام عليا (عليه السلام) في المنام وهو يقول: لا ينكسر خاطرك فقد بعثنا المرتضى علم الهدى يعتذر إليك فلا تخرج إليه حتى يأتيك، ثم رأى الشريف المرتضى في تلك الليلة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) والأئمة (صلوات الله عليهم) حوله جلوس فوقف بين أيديهم وسلم عليهم فحس منهم عدم إقبالهم عليه فعظم ذلك عنده وكبر لديه فقال: يا موالى أنا عبدكم وولدكم ومواليكم فبم استحققت هذا منكم؟

فقالوا: بما كسرت خاطر شاعرنا أبي عبد الله ابن الحجاج فعليك أن تمضي إليه وتدخل عليه وتعتذر إليه وتأخذه وتمضي به إلى مسعود بن بابويه وتعرفه عنايتنا فيه وشفقتنا عليه.

فقام السيد من ساعته ومضى إلى أبي عبد الله فقرع عليه الباب فقال ابن الحجاج: سيدي الذي بعثك إلي أمرني أن لا أخرج إليك، وقال: إنه سيأتيك، فقال: نعم سمعا وطاعة لهم، ودخل عليه واعتذر إليه ومضى به إلى السلطان وقصا القصة عليه كما رأياه فأكرمه وأنعم عليه وخصه بالرتب الجليلة وأمر بإنشاد قصيدته.



## القصيدة

يا صاحب القبّة البيضاء في النجف  
 من زار قبرك واستشفى لديك سُفني  
 زوروا أبا الحسن الهادي لعلّكم  
 تحظّون بالأجر والإقبال والزلف  
 زوروا لمن تُسمعُ النجوى لديه فمن  
 يزوره بالقبر ملهوفاً لديه كُفي  
 إذا وصلت فأحرّم قبل مدخله  
 ملبياً واسعاً سعياً حوله وطف  
 حتى إذا طفت سبعاً حول قبته  
 تأمل الباب تلقا وجهه فقف  
 وقل سلاماً من الله السلام على  
 أهل السلام وأهل العلم والشرف  
 إني أيتيك يا مولاي من بلدي  
 مستمسكاً من حبال الحق بالطرف  
 راجٍ بأنك يا مولاي تشفع لي  
 وتسقني من رحيق شافي اللهف  
 لأنك العروة الوثقى فمن علقت  
 بها يدها فلن يشقى ولم يخف



وإن أسماؤك الحسنى إذا تليت  
على مريضٍ شُفي من سقمه الدنف  
لأن شأنك شأنٌ غير متقصر  
وإن نورك نورٌ غير منكسف  
وإنك الآية الكبرى التي ظهرت  
للعارفين بأنواع من الطرف  
هذي ملائكة الرحمن دائمةٌ  
يهبطن نحوك بالأطياف والتحف  
كالسطل والجام والمنديل جاء به  
جبريل لا أحد فيه بمختلف  
كان النبي إذا استكفك معضلة  
من الأمور وقد أعيت لديه كفي  
وقصة الطائر المشوي عن أنس  
جاءت بما نصّه المختار من شرف  
والحب والقضب والزيتون حين أتو  
تكرماً من إله العرش ذي اللطف  
والخيل راعية في النقع ساجدة  
والمشرفيات قد ضجت على الحجف  
بعثت أغصان بانٍ في جموعهم  
فأصبحوا كرماد غير متسفف  
لو شئت مسخهم في دورهم مسخوا  
أو شئت قلت بهم يا أرض فانخسف

والموت طوعك والأرواح تملكها  
وقد حكمت فلم تظلم ولم تجف  
خلاف من زهقت في الغار مهجته  
فظل مدمعه جار بمنذرف  
لا قدس الله قوماً قال قائلهم  
بخ بخ لك من فضل ومن شرف  
وباعوك بخم ثم أكدها محمد  
بمقالٍ منه غير خفي  
عافوك واطرحوا قول النبي ولم  
يمنعهم قولهُ هذا أخي خلفي  
هذا وليكم بعدي فمن عقلت  
به يدها فلن يخشى ولم يخف  
فقلدوها أخا تيم فقال لهم  
يا ويلكم اقبلوا قولي فلسنت أفي  
لي مارداً يعتريني لا أطيق له  
رداً فيخدعني بالقول والعنف  
حتى إذا ما دعى للموت نص على  
شيطانه ياله من مارداً جلف  
فصير الأمر شورى خدعة ودها  
وحيلة وهو أمر منه غير خفي  
وثالث القوم أبدي في الورى بدعاً  
وأصبحت ملة الاسلام في تلف



لا خير في آل حربٍ مع عدي ولا  
في آل تيمٍ ولا في شيخها الخرف  
ضلوا وكانوا عكوفاً في ضلالهم  
مثل الكلاب مُكَبَّاتٍ على الجيف  
كم بدعة ظهرت من جورهم فبدا  
منها الفساد من الأصلاب والنطف  
شاعت بدائعهم في الناس فارتكبوا  
فعل اللياط وشرب الخمر من السرف  
فذاك عن أنس يروي وذاك أب  
— ي هرٍ وذلك يروي راء مختلف  
وذاك يأتٍ بها لم يأتَه ذاك وذا  
مخالفٌ للذي قد جاء في الصحف  
فالشافعي يرى الشطرنج من أدب  
وإبنُ حنبلٍ فيما قال لم يخف  
يقول إن اله العرش ينزل في  
زي الأنام بعد اللين والهيـف  
في زي أمرد نضو الخصر منهضم  
الحشا طليق المحيا وآخر الردف  
على حمار يصلي في المساجد قد  
أرخی ذوائبه منه على الكتف  
يمشي بنعلين من تبر شراكها در  
ويخطر في ثوب من الصلف

هذا ولا يتدي عند الصلاة بسم  
الله وهي أتت في مبدء الصحف  
وقول نعمان في شرب المدام بأن  
لا حدّ فيه ولا إثم لمقترف  
وعنده القول في أخذ الحريرة  
أو وطى الأجير رأي غير مختلف  
أهكذا كان في عهد النبي جرى  
فأبنا معلنا إن كنت ذا نصف  
ومالك قال لو طوا بالغلام ولا  
تحشوا مقالة من قد جاء بالسخف  
محللاً أكل لحم الكلب مبتدعاً  
مخالفاً للذي يروي عن السلف  
فقول كل إمام من أئمتهم  
ما في العزيمة في زيغ وفي حيف  
قل لابن سكرة ذي البخل والسخف  
عن ابن حجاج قولاً غير منحرف  
يا بن البغايا الزواني العاهرات ومن  
سألقت يأتهم قد حضن من خلف  
يا من هجا بضعة الهادي لأن نشبت  
كفأي منك على تمكين متصف  
لأوردنك يا من بضر زوجته  
شبيه عذق قرنط يابس الحشف





موارد الحثف إن أمكنت سوف ترى  
توسلي بالإمام الحجة الخلف  
القائم العلم المهدي ناصرنا  
وجاعل الشرك في ذل من التلف  
من يمالأ الأرض عدلاً بعدما ملئت  
جوراً ويقمع أهل الزيغ والحيف  
سقى البقيع وطوسا والطفوف وسامراء  
وبغداد والمدفون في النجف  
من مهرق مغدق صباً غدا سجماً  
مغدوق هاطل غيث وابل وكف  
خذها إليك أمير المؤمنين بلا  
عيب يشين قوافيها ولا تحف  
من القوافي التي لورامها خلف  
صفعت بالمانع الجاري قفا خلف  
تنفي ولاء علي يا بن زانية  
وتتبتغي بدلا من أنجس السلف  
لا ابتغي بعتيق من أبي حسن  
ولو بليت بسوء الكيد والحرف  
فأستجلها من فتى الحجاج بنت ثنا  
تشق كل فؤاد كافر دنف  
بحب حيدرة الكرار مفتخري  
به شرفت وهذا منتهى شرفي



من إصدارات



   AIMohasen313